أدب الشباب
JEUNESSE

جون موزي

من حكايا الكيبك

منشورات الشهاب

جون موزي

من حكايا الكيبك

ترجمة : أميرة غواطي

تحت إشراف السيدة إنعام بيوض

مديرة المعهد العالي العربي للترجمة

منشورات الشهاب

تمت ترجمة هذا الكتاب في إطار برنامج دعم النشر
بالمعهد الفرنسي بالجزائر.

INSTITUT
FRANÇAIS
ALGÉRIE

Titre original
14 contes du Québec par "Jean Muzi"

10، نهج إبراهيم غرافة، باب الواد، الجزائر.
الموقع الإلكتروني : www.chihabeducation.com
الهاتف : 97 54 53 021 / الفاكس : 91 51 97 021
ردمك : 978-9947-39-208-9
الإيداع القانوني : أفريل 2019

تمهيد

سكنت كندا، قبل مجيء البيض إليها، مجموعات من الهنود الأمريكان والإينوتيّين الذين يُدْعَون أيضا بالإسكيمو موزّعة بشكل غير منتظم على أراضيها الشّاسعة الأطراف. يُعتقد أنّ هذه الشّعوب قد جاءت من قارّة آسيا عبر مضيق برينغ الذي يربط بين سيبيريا والقارّة الأمريكيّة الشّمالية. ينقسم هؤلاء الهنود الأمريكان إلى قبائل عديدة تعيش على صيد الحيوانات والأسماك.

صار للفرنسيين موطئ قدمٍ بخليج سان لوران بعد أن اكتشفه جاك كارتييه سنة 1534.

ولم يبدأ استعمار كندا إلّا في وقتٍ لاحقٍ تحت إمرة ساموال شامبلين الذي بنى مدينة الكيبك، سنة 1608، في مكانٍ كان الهنود الأمريكان يدعونه بالكيبك وتعني هذه الكلمة « مضيق النهر » لأنّه أضيق نقطة بسان لوران.

سنة 1760، غزا البريطانيون كندا التي صارت كونفيديرالية سنة 1867، كانت الكيبك من أهمّ مقاطعاتها والوحيدة

التي يتكلّم سكّانها الفرنسيّة. الكيبك شاسعة الأطراف وتساوي مساحتها ثلاثة أضعاف مساحة فرنسا. تكسو الكيبك غابات كثيرة ويتخللها العديد من المسطّحات المائية، وقد قدّر عدد بحيراتها بـ 000 900 بحيرة.

كان من الطبيعي أن يأتي المستعمرون الفرنسيون الذين جاؤوا إلى الكيبك بالحكايا التي تعوّدوا على سماعها في بلادهم. ومع مرور الأيّام، باتت تلك الحكايا الدّخيلة جزءا لا يتجزأ من خصوصيّة البلد. لقد حُوّلت واكتست حلّة محليّة دون أن تفقد عبق أصولها.

اختَرت لكم عددا من تلك الحكايا، زدت عليها بعض حكايات الهنود الأمريكان بغرض تعريفكم على ثقافة شعوب المنطقة الأصليّين قبل مجيء البيض، وقد نقّحت حكايات هذا الكتاب جميعها وأعدت صياغتها لتجذب القرّاء الصّغار.

جون موزي

الهنديّ الصّغير وشجرة القيقب



تُبيّن هذه الحكاية التي يرويها الهنود الأمريكان
أنّ الحمق قد يكون مفيدا في بعض المواقف.

لم يكن محصول ذلك العام وفيرًا، كما لم يكن المخزون كافيًا، وسرعان ما نفد، وها هو الشّتاء المخيف على الأبواب. وما كان أمام زعيم القبيلة « ريشة النّسر » سوى أن جمع رجال القرية جميعهم وقال لهم :

— ليس لدينا ما يكفي من الغذاء، وموسم الحصاد لا يزال بعيدًا، وسنموت جوعا إن لم نجد بعض الطّرائد، ولهذا لا بدّ أن يذهب إلى الصّيد كلّ الرّجال المؤهّلين لذلك

وكلّ الأطفال الذين بلغوا السّنّ التي تسمح لهم باستعمال القوس.

في اليوم الموالي، استيقظ الهنديّ الصّغير « عين السّنّور » مبكّرا وكان البياض يكسو القرية بعد ليلةٍ مثلجةٍ شديدة البرد، وعلى الرّغم من خبرته المتواضعة في الصّيد، إذ كان أصغر الصّيّادين سنّا، إلّا أنّه كان قد تعلّم استخدام القوس وأراد إثبات ذلك. ارتدى الصّبيّ زلّاجتيه، وشقّ طريقه في برودة الصّباح وضوئه الشّاحب، والثّلج الصّلب يئزّ تحت قدميه.

انتشر الصّيّادون في الغابة ليزيدوا فرص الحصول على الطّرائد. وتقدّم عين السّنّور بمفرده. مرّت السّاعات تلو السّاعات، ولم يظهر أيّ حيوان، فخاف الصّيّاد الصّغير من العودة بخفّيّ حنين، وفي تلك الأثناء، وصل إلى جزء من الغابة أشجاره متباعدة، فراح يتقدّم بسهولة بين جذوعها التي تباين لونها البنّيّ مع بياض الثّلج النّاصع.

بلغ الصّيّاد فرجة الغابة، ويبدو أنّ الحظّ قد ابتسم له أخيرا، إذ رأى آثار أرانب برّيّة على الثّلج. اقتفى الصّبيّ الآثار، وراح يستقصي المكان، ويتتبّع الأصوات. وكان على يمينه أحد الأرانب البرّيّة يراقبه، وعلى الرّغم من أنّه بالكاد

يظهر إذ لا يمكن التّمييز بين لون فروه ولون الثّلج إلا أنّ عين السّنّور لمحه، فقد كان نظره ثاقبًا. أخرج الصّيّاد الصّغير سهمًا من جعبته وشدّ قوسه لكنّه أخطأ الهدف من شدّة ارتباكه وغرز السّهم بجذع شجرة القيقب الأمر الذي أزعجه كثيرا، إذ كان يتوق لجلب أرنب برّيّ إلى القرية. اقترب بعد ذلك من شجرة القيقب، وأمسك السّهم بيديه الاثنتين ثم اقتلعه، وحينها أدرك أنّ النّسغ يخرج من الثّقب الذي خلّفه السّهم.

تذوّق الهنديّ الصّغير النّسغ فوجد أنّه حلو المذاق. أفرغ جعبته من السّهام ووضعها أمام الشّجرة ليملأها نسغًا بعد أن خطرت له فكرة أخذ هذا السّائل الحلو مكان الطّرائد، وبعد أن امتلأت الجعبة مضى في طريق العودة.

وصل عين السّنّور إلى القرية ليلا، فدخل مباشرة إلى كوخ العائلة وكان والده « مخالب الدّب » هناك والحزن بادٍ على محيّاه وكذلك الأمر بالنّسبة لزوجته « الحجلة الحمراء » فاستنتج الصّبيّ أن والده قد رجع خاوي الوفاض. رمقت الحجلة الحمراء ابنها بنظرات حبلى بالأمل، بينما كانت قِدرٌ على النّار، بها فاصولياء، فقال الصّبيّ بكلّ فخرٍ وهو يمسك بجعبته بإحكام :

— لقد أحضرت لكم سائلا يخرج من شجرة القيقب.

ثارت ثائرة مخالب الدّب الذي كان ينتظر عودة ابنه بطريدةٍ ما فقال :

— بما سينفعنا هذا السّائل ؟

أمسك الأب بالجعبة، وبحركة فظّة رماها صوب الموقد. انتشر السّائل على كامل الأحجار الملتهبة وتحوّل إلى شراب قيقب، بينما امتلأت الأجواء برائحته الحلوة. تفاجأ والدا الصّيّاد الصّغير، واقتربا من الموقد وراحا يجمعان الشّراب الذي تخثّر بعد أن التصق بالحجارة، ثمّ تركاه يبرد. وحين تذوّقاه، قالا :

— إنّه حقّا حلو.

تذوّقه عين السّنّور بعدهما، ووجد أنّه فعلا لذيذ.

فقالت له والدته :

— أ هو نسغ شجرة القيقب حقًّا ؟

— نعم يا أمّي.

فقال مخالب الدّب بعد أن اعتذر عن فظاظته :

— فلنذهب إذن، في الغد، لجلب المزيد.

في صباح اليوم الموالي، ترك عين السّنّور ووالده الكوخ مباكرا، واتّجها نحو أوّل شجرة قيقب لمحاها. أخرج مخالب

الدّب خنجره وشقّ الجذع، بينما علّق عين السّنّور إناءً في الأسفل لم يأخذه إلّا في اليوم الموالي. وتكفّلت الحجلة الحمراء بإفراغ النّسغ على حجارة الموقد الملتهبة.

أثارت رائحة الشّراب التي عبّقت الأجواء أفراد القبيلة، فودّوا لو عرفوا مصدرها، وما كان على الحجلة الحمراء إلا أن ملأت عددًا من الأقداح بشراب نسغ القيقب ثمّ وزّعتها. وجد الجميع أنّ الشّراب لذيذٌ أيّما لذّة، فشرعوا في صنع كمّيّات كبيرة منه وبهذا تقضي القبيلة فصل الشّتاء البارد دون المعاناة من الجوع.

هنّأ زعيم القبيلة ريشةُ النّسر عينَ السّنّور على ما توصّل إليه. ويومًا بعد يوم، انتشرت الوصفة، وسرعان ما باتت القبائل الهنديّة جميعها تصنع شرابًا من نسغ أشجار القيقب.

المستذئب



تُعدّ هذه الحكاية شاهدًا على انتشار الخُرافات والمُعتقدات الشّعبيّة بين أفراد مجتمع الكيبك كما تُبيّن ثراء حكاياتهم الخياليّة.

إنّ أولئك الّذين يجرؤون على الاعتراف بإيمانهم بوجود المستذئبين قلّة قليلة. ولقد كان « هونوري » واحدا منهم على غرار والده. فقد لمحا المستذئبين معًا ولا يزالان يحتفظان بذكرياتٍ عنهم.

لم يكن عمر هونوري يتجاوز الخامسة عشرة عندما حصل معه ذلك. كان الفتى يعمل على متن مركب يقوده والده

ومعهما بحّارٌ مسنّ. وفي يوم عيد جميع القدّيسين[1]، رفعت ريحٌ قويّة المركب المحمّل بالسّلع إلى الكيبك. ولم يكن الكثير من الوقت قد مضى مذ تجاوزِهم بُحيرة سان بيار. كانت السّاعة تقارب الثّامنة ليلا، وكان الظّلام قد حلّ، وبدأ الضّباب يُخيّم على المكان، فلم يعد بإمكان هونوري رؤية منارة جزيرة غراس. كان الفتى بصدد مراقبة المقدّمة بينما كان والده على دفّة القيادة. مدخل القناة ضيّق جدًّا وكان عليهم بذل ما بوسعهم لتفادي غرق المركب.

كانت الرّياح تضرب الشّراع الكبير بقوّة، والمركب يتقدّم بسرعةٍ متجاوزًا جزيرة غراس، وفجأة لمح البحّارة الثّلاثة نارًا على الضّفة، يرقص حولها حوالي ثلاثين شخصًا ممّن بهم مسّ، لديهم رؤوس وذيول ذئاب. كانت أعينهم ملتهبةً كالجمر، وضحكاتهم وهتافاتهم السّاخرة مخيفة. لقد كان أولئك الرّاقصون من المستذئبين، جمعهم الشّيطان ليسقيهم دمًا ويطعمهم لحم البشر.

أُصيب هونوري بالهلع ممّا رأى، فركض إلى مؤخّرة المركب ليلتحق بوالده الّذي ترك الدّفة للبحّار العجوز، وأتى ببندقيّته

---

1. عيد يُحتفل به في الأوّل من تشرين الثّاني / نوفمبر في المسيحيّة الغربيّة، وفي أوّل يوم أحد بعد عيد الخمسين في المسيحيّة الشّرقيّة، تكريما لجميع القدّيسين.

ليطلق النّار على المستذئبين، وكان عليه أن يفعل ذلك بخفّة وإلا فات الأوان، فقد كان المركب يشقّ عُباب البحر بسرعةٍ كبيرة، ولذا صاح الأب قائلا :

— هونوري، اذهب بسرعة إلى المقصورة وائتني بالغصن المقدّس الموجود على مقدّمة سريري. أحضر كذلك رصاصتين واغمرهما بالماء المقدّس.

حمل هونوري الغصن المقدّس، لكنّه قلب حوض التّقديس من شدّة عجلته وارتباكه، فلم يستطع نقع الرّصاصتين به. سحق الوالد الغصن بقوّة بين يديه ودسّه بمدفع بندقيّته ثمّ وضع به إحدى الرّصاصتين، رسم علامة الصّليب على صدره وأطلق النّار على المستذئبين. أصابت الرّصاصة أولئك الملاعين، ومع ذلك واصلوا رقصهم وصراخهم وكأنّ شيئًا لم يحدث. فقال متذمّرا :

— فلتصبهم اللّعنة !

وضع الرّصاصة الثّانية بالبندقيّة، ودسّ مسبحته بمدفعها. أطلق النّار من جديد. حطّت الرّصاصة على ضفّة جزيرة غراس، ففرّ المستذئبون إلى الغابة وهم يعوون، ممّا بعث الرّعب في قلوب البحّارة الثّلاثة. بعدها، قال والد هونوري :

— لقد بعثرتهم حبّات سبحتي، وأظنّ أنّي لم أتمكّن من التّخلّص منهم لأنّها جديدة ولم تُبارك بعد وها قد ذهبوا لاستكمال ضوضائهم في مكان آخر.

كانت تلك هي المرّة الثّانية التي رأى فيها والد هونوري المستذئبين. الآن، هو في الأربعين من العمر، وفي المرّة الأولى كان في العشرين. كان يصطاد في مرتفع سان موريس، يصطاد فأر المسك والقندس وحيوان الولفيرين[2]. وكان كجلّ صيّادي تلك الحقبة لا يهاب شيئًا. أقام هناك مع الأبيناكي[3] وتعرّف على فتاة هنديّة جاءت مع أبيها الصّيّاد. كانت الفتاة جميلةً وكان أفراد قبيلتها يظنّون أنّها مشعوذة. كان والدها يغيب عن المكان ليومين وأحيانا لثلاثة أيّام لكي ينصب الفخاخ، فيستغلّ الصّيّاد الشّاب الذي يجيد لغة الهنود الأمريكان غيابه ليتودّد إلى الفتاة التي قبلت، في الأخير، مواعدته ليس بعيدًا عن المعسكر عند منتصف اللّيل.

لقد حيّر الصّيّادَ الشّابَّ اختيارُ الفتاة لمثل تلك السّاعة، لكن ذلك لم يمنعه من الذّهاب إلى مكان الموعد، وبينما كان ينتظرها سمع ضجّة ظنّ حينها أنّ الفتاة قد وصلت لكنّه تأكّد من خطإ ظنّه لمّا لمح عينين قلقتين تلمعان في الظّلام وتحدّقان به. اعتقد، لوهلة، أنّه رأى قطّا برّيّا أو ولفيرينًا،

2. حيوان ثدييّ مفترس يعيش في أمريكا الشّماليّة.

3. مجموعة عِرقيّة تنتمي إلى الهنود الحمر يتواجدون خاصّة في الولايات المتّحدة وكندا يبلغ عددهم الإجماليّ حوالي 4 500 نسمة.

فوضع بندقيّته على كتفه وصوّبها نحو عينَيّ الحيوان لكنّ رميته خابت، وقبل أن يهرب انقضّ الحيوان عليه منتصبا على قائمتيه الخلفيّتين ومحاولا تحويطه بالأماميّتين. لقد كان يشبه الذّئب، غير أنّ الصّيّاد الشّاب لم ير قَطّ ذئبا بهذه الضّخامة.

خلُص الصّيّاد إلى أنّ مستذئبا هاجمه فاستلّ خنجره وحاول إصابته بجرح على شكل صليب في جبينه، فقد كان يعلم أنّها الوسيلة الوحيدة للتّخلّص من تلك الكائنات. دافع المستذئب عن نفسه طويلا، فلم يستطع الصّيّاد إصابته بجبينه. الأمر الذي جعله يحاول غرز خنجره في فخذيه، لكن دون جدوى، فقد كانتا أسمك من نعلٍ جلديّ.

استمرّ العراك وبات خطِرا على الصّيّاد الشّاب الذي ملأت جسده آثار مخالب الحيوان، غير أنّه استمدّ من أعماقه قوّة كانت كافية لقطع إحدى القوائم الأماميّة للحيوان. وقبل أن يفرّ إلى الغابة أطلق صرخةً عاليةً وكأنّه امرأةٌ تُذبح. لم يَقْوَ الصّيّاد على اللّحاق به إذ كان خائر القوى، فوضع قائمة الحيوان في حقيبته وعاد إلى المعسكر ليُضمّد جراحه.

عرف الصّيّاد، في اليوم الموالي، أنّ الفتاة التي واعدته خرجت بصحبة والدها ليلا. وكانت دهشته كبيرة عندما فتح

حقيبته بحثًا عن رِجل الحيوان، فوجد مكانها يد امرأة قُطعت من المعصم. لقد كانت تلك يد الفتاة الهنديّة الجميلة التي تحوّلت في اللّيلة الماضية إلى مستذئب، لتشرب دم الصّيّاد الشّاب وترميه بين يدي الشّيطان.

بيضة الأتان



عدد الحمقى في الكيبك لا يفوق عددهم في غيرها من البلاد. وبطلا هذه الحكاية من هؤلاء الحمقى، ولقد جعلهما حمقهما المفرط يثيران ضحك الجميع، يسليان الأطفال، ويرسمان الابتسامة على شفاه الكبار.

يُروى أنّ فلّاحا عجوزا وزوجته لم يكونا يملكان سوى أتانًا بدأت تتقدّم في السّنّ. كان الفلّاح العجوز يتركها بانتظام لدى جارٍ له لديه حمار حتّى تحمل وتنجب له جحشًا، لكنّ ذلك لم يحدث.

في يوم من الأيّام، مرّ بائع يقطين لم تره العجوز من قبل. فقالت له :

— ماذا تبيع ؟

فردّ البائع :

— بيض أتان.

— بيض أتان ! هذا غير معقول. لا وجود لبيض الأتان.

— بلى، أنت على خطإ.

نادت المرأة زوجها وقالت :

— بما أنّ حمارتنا لم تعد تنجب، فلنستغلّ مرور هذا البائع ونبتاع منه بيضة أتان. فردّ الفلّاح العجوز قائلا :

— ما هذا الهراء ؟! أنت تعلمين جيّدا أن لا وجود لبيض الأتان.

سمعهما البائع وقال مؤكّدا :

— بلى، هذا بيض أتانٍ فعلا، ويكفي حضنه كما تفعل الدّجاجات والبطّات، وبإمكان زوجتك فعل ذلك، بل أنت أيضا تستطيع.

— بكم تبيعه ؟

— اطمئنّا، ثمنه ليس غاليًا، البيضة الواحدة بقرش لا غير.

فقال الرّجل :

— سنأخذ واحدةً.

أخذ البائع المال وأعطاهما يقطينة، فصنع الفلّاح عشّا وضعه في المطبخ، ووضع بداخله اليقطينة، وتولّت الزّوجة مهمّة حضنها، وكان يحلّ مكانها إذا ما أحسّت بالتّعب. وفي غضون ثمانية أيّام، بدأ صبر الزّوجة ينفذ. فراحت تصيح وهي تمسك باليقطينة التي رمتها بمجرى السّيل المحاذي للمنزل :

— يا لهذه البيضة اللّعينة، لماذا لا تفقس ؟!

تدحرجت اليقطينة بسرعة، واصطدمت بحجرٍ كبيرٍ، وانفجرت لتنقسم إلى عدّة أجزاء حطّت بالقرب من أرنبٍ برّيّ خرج من جحره لتوّه وبالكاد استطاع تفاديها وهرب مطلقًا صيحةً تنمّ عن ارتعابه.

ظنّت المرأة أنّ البيضة فقست، وأنّ أرنبا برّيًا قد وُلد، فراحت تصيح قائلة :

— تعال إلى هنا، تعال لا تخف، أنا أمّك !

هرب الأرنب البرّيّ، وعادت المرأة إلى بيتها وقصّت على زوجها ما حدث.

فقال لها لائمًا :

— لو حضنت البيضة وقتًا أطول، لكان لدينا الآن جحشٌ صغير بدل الأرنب.

العربة العجيبة



جاء عن كاتب المآسي الإغريقيّ « يوريبيديس » أنّ في الأدب واللين حُسن ونَفع. وجاء في أحد الأمثال الشّعبيّة أنّ الأدب مالٌ يُثري من يملكه ومن ينفقه على السّواء.

يُروى أنّ ملكًا مسنًا له ثلاثة أبناء كان قد كَلّ وتعب من أمور الحكم، فبدأ يفكر في التّخلّي عن عرشه. وفي يومٍ من الأيّام، جمع الأمراء الثّلاثة ليُعلمهم بالأمر.

— أبنائي، أودُّ أن أتنازل عن العرش لواحدٍ منكم قبل أن أغادركم إلى الأبد. لكنّني في حيرة من أمري، فصفات

الحاكم النّاجح موجودة لدى ثلاثتكم، وبعد تفكير عميق قرّرت أنّه على من سيخلفني أن يأتيني بأجمل عربة في الوجود. أمامكم سنةٌ كاملةٌ لتلبية طلبي هذا، فليمتط كلٌّ جواده ويأخذ ما يكفيه من المال، ولتذهبوا على الفور.

غادر الأمراء القصر في فجر اليوم الموالي، وسلك كلٌّ منهم طريقًا غير الّذي سلكه الآخر. عبر الأخ الأكبر الإقليم الكيبكي الشّاسع، وكان يجتاز كلّ يوم مسافاتٍ طويلةً دون أيّ تخطيط. كان يتوقّف ليبيت أو يستريح عند أحد السّكان أو في فندق ما إذا وجد واحدا. وفي مساء أحد الأيّام، التقى عجوزًا ترتدي أسمالا بالية عند مدخل قريةٍ صغيرة. كانت تلك العجوز جنّيّة متخفيّة في زيّ المتسوّلين، فقالت للأمير :

— إلى أين أنت ذاهبٌ أيّها الأمير الطّيّب ؟

لم يُعِرْها الأمير اهتمامًا ونهرها قائلا :

— ومن سمح لك بمخاطبتي ؟ كما أنّ ما أفعله لا يخصّك أيّتها العجوز الخرفة. امضي في سبيلك وكُفّي عن إزعاجي.

— لقد عاملتني بفظاظة وستندم على ذلك، فأنا قادرةٌ على هلاكك.

اختفت الجنّيّة وتابع الأمير مسيره. وتوالت الشّهور دون أن يُصادف من يبيعه عربةً جميلة، ولكي لا يرجع بخفّي حنين، اشترى عربةً مهترئة من فلّاح فقير مقابل بضعة قروش.

في نفس الوقت، كان الأمير الثّاني يسير على طول نهر سان لوران والتقى بالجنّيّة المتنكّرة في زيّ متسوّلة. فقالت له :

— ما وجهتك أيّها الأمير الطّيّب ؟

— وهل لي أن أسألكِ بدوري أيتها السّاحرة الشمطاء ؟

— أنا أعلم أنّك تبحث عن عربةٍ جميلة، وأؤكّد لك أنّك لن تحقّق مبتغاك جزاء فظاظتك معي.

بعد ما قالته الجنّيّة، أراد الأمير أن يعرف من تكون لكنّها اختفت، وكأخيه الأكبر لم يحصل سوى على عربةٍ قديمةٍ في حالةٍ يُرثى لها وراح يقول : « لا بدّ أنّ أخواي واجها الصّعوبات والعراقيل ذاتها، وحظوظي في خلافة والدي لا تزال قائمة ».

اختار الأخ الثّالث التّوجّه إلى السّاحل الأطلسي تجنّبًا لإنهاك حصانه. لقد كان بشوشًا، ولا يطلب العون إلّا بلينٍ وأدب، ومع ذلك لم يستطع أحدٌ مساعدته في العثور على عربةٍ جميلة، وفي نهاية المطاف التقى الجنّيّة ذاتها التي صادفها شقيقاه، وكانت في ثياب التّسوّل ذاتها وسألته السؤال نفسه :

— ما وجهتك أيّها الأمير الطّيّب ؟

ردّ الأمير بوجهٍ بشوش :

— أنا لا أعرف إلى أين أذهب، لكنّي أعلم جيّدًا أنّي أودّ العثور على عربةٍ جميلةٍ، وربّما استطعت مساعدتي.

— ما دمت مهذّبًا ومؤدّبًا، ولم تتحدّث مع متسوّلةٍ فقيرةٍ مثلي بازدراءٍ واحتقار، فسأجازيك خير جزاء.

تحوّلت الجنّيّة على الفور إلى فتاةٍ آية في الجمال، تحمل بيدها عصًا سحريّةً بالكاد ضربت بها الأرض حتّى ظهرت عربةٌ رائعةٌ تجرّها أربعة أحصنةٍ مجنّحةٍ بيضاء اللّون، يقودها جنّيّ صغير. فتحت الحسناء باب العربة، ودعت الأمير للرّكوب. ترجّل الأمير، وبقي متردّدا لبرهة ثمّ قال :

— لا أستطيع ترك مطيّتي.

— لا تقلق على حصانك فسيرجع إلى الإسطبل في الحال.

وضعت الجنّيّة عصاها السّحرية على الحصان، فاختفى، وركب الأمير العربة، وجلست الفتاة إلى جانبه، وأعطت إشارة الانطلاق، فحلّقت الأحصنة الأربعة، وارتفعت العربة. كانت العربة فائقة السّرعة، فلم يستغرق الوصول إلى قصر الملك سوى دقائق قليلة.

عندما حطت العربة بفناء القصر المركزي، كانت سنةٌ كاملةٌ قد انقضت مذ رحيل الأمراء الثّلاثة. اتّجه الأمير مسرعًا نحو والده الملك فقال له :

— نحن في انتظارك، فقد سبقك أخواك إلى هنا.

اعتذر الأمير قائلا :

— لقد وصلت للتوّ. فقال الملك :

— أبنائي الأعزّاء، تسرّني رؤيتكم بصحّة وعافية، وكما وعدتكم سيكون هذا العرش من حقّ من تمكّن من جلب أجمل عربة، فأروني ما أحضرتم لأتّخذ القرار.

قال أصغر الأمراء :

— العربات الثّلاثة بالفناء المركزيّ.

— هيّا بنا يا أبنائي.

ما إن وقع نظر الأميرين على العربة الرّائعة التي أتى بها أخوهما الأصغر حتّى رمقاه بنظرات تملؤها الغيرة والحقد.

— فليدلّني كلّ واحدٍ منكم على عربته.

قال الأخ الأكبر :

— ها هي ذي عربتي. إنّها مهترئة بعض الشّيء، لكنّني لم أعثر على أحسن منها.

قال الثّاني مشيرًا إلى عربته :

— أظنّ أنّ عربتي أحسن حالًا.

دنا الملك، بعد ذلك، من العربة الثّالثة وقال للأمير الصّغير :

— أنت إذا من أتاني بهذه العربة الجميلة.

— أجل، يا أَبَتِ.

حام الملك حول العربة، وراح يتأمّل الأحصنة المجنّحة، ثمّ فتح أحد أبواب المركبة الرّائعة، فوقع نظره على الجنّيّة.

— فلتنزلي أيّتها الحسناء، وسأكون سعيدًا إن قبلت الزّواج بأصغر أبنائي الذي سيصبح ملك هذا القصر قريبًا.

قبلت الحسناء العرض، وأُقيمت الأفراح واللّيالي الملاح، وزادت الفرحة حينما اعتلى الأمير الصّغير العرش، غير أنّ أخويه، من شدّة غيرتهما، قرّرا تسميمه، ولحسن الحظّ كشفهما عندما همّا بدسّ السُّم في شرابه.

رفض الأمير الطّيّب شنق أخويه، واكتفى بنفيهما للأبد، وأجبرهما على ركوب البحر والعيش في قارة أخرى.

لم يتوقّف الملك عن العمل بنصائح والده، وعاش في سعادةٍ وهناء مع جنّيّته ولم يستعمل خلال فترة حكمه سوى العربة العجيبة.

أرجل الضفادع الخلفية طويلة جدا، لماذا يا تُرى ؟



توضّح هذه القصّة التّفسيريّة[1] الشّائعة لدى الهنود الأمريكان أنّ العيب يتحوّل إلى ميزة في بعض الأحيان.

لقد كان للحيوانات من يحميها ويرعاها قبل مجيء البشر إلى كوكب الأرض. وقد كان ذلك الكائن القويّ المدعو ويزوك يملك قدراتٍ خارقة، تسمح له بالسّهر على راحة الحيوانات جميعها.

1. قصص تهدف إلى تفسير الظواهر الطبيعية وتوضيح منشئها.

كان ويزوك يحادث الحيوانات والنّباتات والرّيح والنّار والماء أيضًا. لقد كان سخيًّا، ووضع لنفسه هدفًا نبيلًا هو الحفاظ على السّلام والتّناغم على كوكب الأرض.

كان ويزوك يحمل الطّعام للضّفدعة مرّات عدّة في الأسبوع، فهو وحده يستمتع بنقيقها، وهو وحده يعتبر صرخاتها اللّيليّة الحزينة غناءً. كانت الضّفدعة تنقّ تعبيرًا عن شكرها له، بينما يسمعها وهو يدخّن بهدوء غليون الهنود الأمريكان الطّويل.

لاحظت الضّفدعة أنّها لا تقدّم لويزوك شيئًا يليق به، فهي لا تبذل مجهودًا حينما تَنِقّ ؛ ولهذا، قرّرت أن تُقدّم له هديّةً حقيقيّة. وبما أنّه يحبّ التّدخين، ارتأت أن تهديه ما يملأ غليونه لمدّةٍ طويلة. جمعت الضفدعة الحشائش، وعرّضتها لأشعة الشّمس، وعندما جفّت وضعتها في كيس كبير، وهمّت بأخذها إلى ويزوك. لكنها تنبّهت إلى أنّها لا تستطيع حملها إلى قمّة الجبل حيث يقطن ؛ فسارعت لطلب العون من النّسر، وقالت له :

— هل تستطيع أخذي إلى ويزوك ؟

ردّ النّسر قائلا :

— لا أنا لا أستطيع، فذلك خَطِرٌ جدًّا. للوصول إلى هناك، عليّ أن أحلّق عاليًا وسقوطكِ من مثل ذلك العلوّ يعني موتك المحتوم.

ألحّت الضفدعة، لكنّ النّسر ظلّ على رفضه، فقالت له :

— إذا كنت مصرّا على رفضك، فلتقبل على الأقل تسليم ويزوك هذا الكيس.

— حسنا، سأمرّ غدًا لأخذه.

خطرت ببال الضّفدعة فكرةٌ ذكيّةٌ قد تساعدها على الوصول إلى بيت ويزوك. فقالت للنّسر :

— إذا ما خرجتُ قبل مجيئك، فسأترك لك الكيس بالباب.

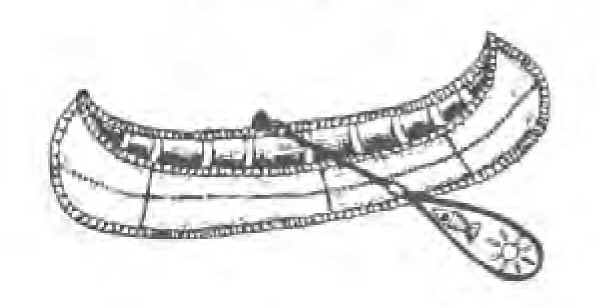
في صباح اليوم الموالي، وضعت الضّفدعة الكيس أمام بابها، بعد أن اختبأت بين الحشائش. وصل النّسر، بعد ساعةٍ من الزّمن. ضمّ الكيس بين جناحيه، وحلّق فوق الغابة المجاورة، ثمّ طار في السّماء عاليًا. لم تكن الضّفدعة ترى ما يحدث من مخبئها. لكنّها، أحسّت أنّ الحرارة تنخفض أكثر فأكثر، فأدركت أنّ النّسر بلغ علوًّا كبيرًا، وفجأةً، بدأت ترتجف بردًا وأحسّت بالرّغبة في العطس، وعلى الرغم من أنّها بذلت ما تستطيع لتجنّب ذلك إلّا أنّها لم تنجح إلا لوقت قصير.

عطست الضّفدعة بقوّة، فسقط الكيس. الأمر الذي لم يجد له النّسر تفسيرًا. بسقوط الكيس، كانت الضّفدعة سترتطم بالأرض وتُسحق، لولا عناية ويزوك الذي عمل على أن يسقط الكيس على شجرة صنوبرٍ عملاقة ليضعف وقع السّقوط.

تناثرت الحشائش، وواصلت الضّفدعة النّزول بين الأغصان دون أن تكون معاناتها كبيرة.

في الأخير علِقت رجلاها الخلفيّتان بأحد أغصان الشّجرة. وراحت تُقاوم، وكلّما زادت مقاومتها كلّما امتدّت رجلاها بسبب وزن جسمها. استطاعت الضّفدعة التّخلص من ذلك الوضع بعد جهدٍ جهيد، وفرحت لأنّها كانت سالمةً معافاة، غير أنّ رجليها الخلفيّتين باتتا أطول، وبات ذلك مصدر خجلٍ لها. لكنّ ويزوك قال لها إنّ ذلك ميزة إذ ستساعدها رجلاها الطّويلتان على القفز والسّباحة ببراعةٍ ومهارةٍ لا نظير لهما. أحسّت الضّفدعة أنّها صارت مصدر سخريةٍ للجميع فهرعت إلى البُحيرة المجاورة، واختبأت تحت الماء، ومذ ذلك اليوم أصبحت الضّفادع خجولة.

القوارب الطائرة



يُحكى أنّه لم تكن للحطّابين الكيبكيّين الذين تحتجزهم الثّلوج في الغابة في فصل الشّتاء وسيلةٌ للرّجوع إلى منازلهم سوى القوارب الطّائرة. فقد كان أشجعهم أو ربّما أكثرهم غفلةً يُسارع لركوب واحدٍ من تلك القوارب العجيبة، ويُحلّق في الأجواء. إنّ قصص الغابات عديدةٌ، وهي تحكي عن الحوادث، والمعارك، والصّيد الغريب العجيب، وعن السّحرة، والعفاريت، والقدرات الخارقة. وهذه إحدى أشهر الحكايات التي جرت أحداثها في غابةٍ من غابات الكيبك.

كان الشتاء قاسيًا جدا. وكادت الثّلوج تصل إلى سقف الكوخ الذي بناه الحطّابون في قلب الغابة داخل ورشة

قطع الحطب ليلجؤوا إليه بعد الانتهاء من العمل. أوقد الحطّابون المدفأة من حطب شجرة الصّمغ. وجلسوا ليستريحوا ويأكلوا، ونار المدفأة تضيء بأشعّتها المحمرّة وجوههم المثقلة بعلامات التّعب والإرهاق.

في ليلة رأس السّنة، قرّر الحطّابون الذّهاب إلى الورشة المجاورة لتهنئة زملائهم بالعيد بعد أن تناولوا طعام العشاء الذي بذل الطّباخ جهدًا كبيرًا في تحضيره ممّا جعله ينام مبكّرًا من شدّة التّعب، ولم يلاحظ أنّ باقي الرّجال قد غادروا. وفي الحادية عشر ليلًا جاء ليون ليوقظه وقال :

— انهض يا جو ستُروِّح على نفسك الاحتفال بقدوم السّنة الجديدة. لقد ذهب الجميع، وأنا ذاهب إلى المدينة لرؤية زوجتي. ألا تريد مرافقتي لترى زوجتك أنت الآخر ؟

— ماذا تقول ؟ تريد الذّهاب إلى المدينة ؟ أجننت ؟! إنّها على بعد مائة فرسخ، ولن تصل إلى هناك قبل أسبوع، وبعد غدٍ نُعاود العمل.

— لا تقلق يا صديقي، سنسافر في الأجواء على قاربٍ خشبي ونرجع غدا.

— سأفكّر في الأمر.

فهم جو أنّ ليون يقترح عليه ركوب القوارب الطّائرة، وراح يتساءل إن كان عليه بيع روحه للشّيطان لرؤية زوجته. وبينما هو شارد، قال له ليون :

— هل أنت خائف ؟ هيّا بنا يا صديقي، لن يصيبك مكروه. فعلى هذه القوارب، نطير بسرعة 60 فرسخًا في السّاعة، فنحن نجيد قيادتها، ولتفادي الحوادث يكفي ألّا نلمس صليب برج الأجراس وألّا نذكر اسم الرّب وألّا نشرب كثيرًا. هيّا فلتُقرّر الآن. نحن سبعة، وإذا قبلت مرافقتنا سنكون ثمانية. ولا بدّ أن يكون العدد زوجيًا لكي يطير القارب. هل ستكون الثّامن أم لا ؟

— لقد نسيت أن تخبرني أنّ عليّ أن أقسم على تسليم نفسي للشيطان وذاك ليس بالأمر السّهل. فقال له ليون شارحا :

— ما ذاك إلا مجرّد إجراءٍ شكليّ لتفادي الحوادث. ما علينا سوى التّركيز قليلا، ومعرفة وجهتنا، والانتباه لمَا نقول، وتجنّب الإفراط في الشّرب.

اقتنع جو بالذّهاب. وفي الخارج، كان بانتظاره ستّة رجالٍ يحملون مجاديف بأيديهم، وأمامهم قاربٌ كبيرٌ وُضع على الثّلج وسط فرجة الغابة. التحق جو بالرّجال، ثمّ أخذ كلٌّ مكانه على القارب الطّائر وقبل الإقلاع قال لهم ليون :

— ردّدوا معي.

إبليس، يا ملك الجحيم، نحن نقسم أن نُسلّم لك أرواحنا، ولن نلمس صليبًا، ولن نذكر اسم الرّب طوال رحلتنا، مقابل

أن تنقلنا عبر الأجواء إلى حيث نريد الذّهاب، وتعود بنا بعدها إلى الغابة.

أكابري ! أكابرا ! أكابرام !

حلّق بنا في الأجواء !

ما إن ردّد الجميع تلك الكلمات، حتّى حلّق القارب فوق الغابة، واخترق السّحاب، ليأمر بعد ذلك ليون الجميع بالتّجديف، فراح القارب يشقّ عُباب السماء بسرعة البرق، فأحسّ الرّجال بانقطاع أنفاسهم، وطارت قبّعاتهم المصنوعة من شعر حيوان الولفيرين.

كان القمر يضيء السّماء. وكان الرّجال يستمتعون بجمال المنظر، وهم يجدّفون. الغابات، البحيرات، الأنهار كلّها متجمّدة، فالبرد شديد إلى درجة أن غطّت طبقةٌ من الجليد شوارب الرّجال ولحاهم.

كان ليون يقود الرّحلة، فهو أدرى من كانوا معه بالطّريق، وما إن لمح أضواء المدينة وأجراسها حتّى صاح قائلا :

— سنحطّ بعد قليلٍ على مقربةٍ من منزل أهلي. ومن هناك، نذهب لنفاجئ معارفنا في أحد مراقص وسط المدينة.

ما هي إلّا دقائق، حتّى حطّ القارب فوق كومةٍ من الثّلج لينزل الرّجال الثّمانية، ويتّجهون إلى وسط المدينة. لم يكن

الثّلج قد أُزيح عن الطّريق بعد، وكان المشي صعبًا جدًّا، لكن لم يمض وقتٌ طويل حتّى وصلوا إلى مسلكٍ سهل العبور، وسرعان ما وصلوا يتقدّمهم ليون إلى منزلٍ أشعلت أضواؤه، وأصوات الكمان والضّحكات تنبعث منه. فقال الجميع بعد أن زادوا في سرعة مشيهم :

— هنا سنستمتع بالرّقص، ونحتفل بيوم رأس السّنة حقّ الاحتفال. فقال لهم ليون :

— تريّثوا يا أصحاب، وكونوا عقلاء، انتبهوا لمَ تقولون، ارقصوا لكن تجنّبوا الإفراط في الشّرب. وعندما ترون إشارتي، اعلموا بأنّ وقت العودة قد حان، والحقوا بي.

طرق الرّجال الباب، ففُتح أمامهم ورحّب بهم الجميع أيّما ترحاب. وراح الفضوليّون يمطرونهم بالأسئلة :

— لمَ تأخّرتم ؟

— من أين أتيتم ؟

— إنّه لأمر عجاب. كيف استطعتم المجيء ؟

— ألستم متعوّدين على قضاء الشّتاء في الغابة لقطع الحطب ؟

كان ليون، في كلّ مرّة، يحاول الإجابة بدل أصدقائه لتفادي وقوع ما لا تُحمد عقباه :

— سأجيب عن تساؤلاتكم لاحقا، فلنرقص الآن لقد جئنا من أجل هذا.

التقى ليون وجون زوجتيهما، ورقصا معهما لساعاتٍ عدّة. انتهت الحفلة في السّاعة الرّابعة صباحًا. لكن، ليون لم يعمل بالنّصائح التي قدّمها لأصدقائه بنفسه، وبالغ في الشّرب، فنسي أمر العودة. ولحسن الحظّ، تفطّن جو وجرّه من ذراعه لإخراجه، وتبعه الرّجال السّتة خفيةً لكي لا يجلبوا الأنظار.

في الخارج قال جو لليون :

— هل تحسّ أنّ بمقدورك قيادة القارب الطّائر ؟

فردّ عليه بفظاظة :

— بالطّبع أقدر، وهذا ليس من شأنك.

وقبل أن يردّ جو عليه، راح يتلفّظ بعباراتٍ سحريّة :

أكابري ! أكابرا ! أكابرام !

حلّق بنا في الأجواء !

حلّق إثر ذلك القارب، ومضى في طريق العودة. كان يتقدّم بسرعةٍ فائقة، ويهتزّ في الأجواء. وتأكّد الجميع أنّ قائد الرّحلة لم يعد يتحكّم في زمام الأمور. دنا القارب من صليبٍ يعلو جرسًا، فبدأ القلق ينتاب الرّجال، وصاح أحدهم :

— انتبه يا ليون، ستذهب بنا إلى الجحيم إذا بقيت على هذه الحال.

بعد لحظات، هوى القارب، وارتطم بجبل. ولحسن الحظّ، كان الثّلج طريًّا فلم يتحطّم القارب، ولم يُصب أحدٌ بجروح. غير أنّ ليون، رفض التّحليق من جديد، فقد خطرت بباله فكرة العودة إلى المدينة ومواصلة الرّقص. حاول رفاقه إقناعه بالتّخلي عن تلك الفكرة الجهنّميّة، لكن عبثًا فعلوا. ولتفادي ترك أرواحهم للشّيطان الذي بدأ يستمتع برؤيتهم في مأزق، انقضّوا على ليون وقيّدوه، ووضعوا كمامة على فمه، لكي لا يتلفّظ بتلك العبارات السّحريّة، ورموا به في القارب.

أخذ جو مكان ليون في المؤخّرة، وأقلعوا من جديد. وعندما اقتربوا من الغابة، تمكّن ليون من فكّ قيده وراح يهدّد الجميع بمجدافه. وبينما كان جو يحاول تجنّب ضرباته، سقط القارب فوق شجرة صنوبر، فتدحرج الرّجال نحو الأسفل من غصنٍ إلى غصن. وفي الأخير، وقعوا على الثّلج، وفقدوا الوعي.

كانت السّاعة تُقارب العاشرة صباحًا عندما استفاق جو، وقد كانت مجموعة من الحطّابين قد عثرت عليه ومعه رفاقه السّبعة وهم لا يقوون على الحراك تحت كومةٍ من الثّلج. كان آخر ما تذكّره أنّه كان يحلم بأنّه سقط في بئرٍ ليس

له قرار. « أنا أشعر بالألم في سائر جسدي لكن المهمّ أنّنا لا نزال على قيد الحياة وأنّ الشّيطان لم يأخذ أرواحنا ». عرف جو فيما تلا من الأيّام أنّ أولئك الذين أنقذوهم ادّعوا أنّهم وجدوهم تحت الثّلج ثملين، وعلى وشك أن يتعفّنوا.

كان ليون فقط من بين المغامرين الثّمانية، يرغب في معاودة الطّيران، أمّا الآخرون فلم يكونوا على استعدادٍ لركوب الخطر مرّةً أخرى على قوارب الشّيطان الطّائرة حتّى لو كان الهدف الذّهاب لرؤية زوجاتهم.

الثّعلب الماكر



حكاية الحيوانات هذه منتشرةٌ انتشارًا واسعًا في الكيبك، حيث المكر في خدمة الجشع والانتقام.

زُعم أنّ ثلاثة ثعالب كانت تعيش في الوكر ذاته، وفي يوم من الأيام سُرقت من أحد الفلّاحين جرّة عسل كان يحتفظ بها لأيّام الشّتاء الباردة. كان أصغر الثّعالب والذي يلقّبه أخواه بـ « الأصهب الصغير » ذا ذكاءٍ خارقٍ وجشعٍ كبير. وفي صباح أحد أيّام الخريف، قرّر تذوّق العسل، ووضع خطّة لتحقيق ذلك.

تعوّدت الثّعالب الثّلاثة على أخذ قسطٍ من الرّاحة وقت القيلولة كلّ يوم، فجاء « الأصهب الصغير » ليخبرهم أنّه سيغيب عنهم لأنّه سيحضر حفل عمادة إذ طُلب منه أن يكون عرّابا.

خرج « الأصهب الصغير » في بداية الظّهيرة، وابتعد قليلًا عن الوكر ليختبئ خلف شجرةٍ كبيرةٍ منتظرًا أن يغطّ أخواه في النّوم. وعندها، يعود بهدوء. غطّ الثّعلبان في نوم عميق، وسُرّ « الأصهب الصغير » لرؤيتهما يشخران الواحدً قُبالة الآخر، فأخذ يقترب من جرّة العسل شيئًا فشيئًا، ليمسك بها أخيرًا ثمّ يفتحها ويأكل قرابة ثلثها. وقبل المغادرة، أغلقها وأعادها إلى مكانها، ولم يرجع إلى الكهف إلّا مساءً، بعد أن تنزّه في الغابة طويلا.

ما إن وصل « الأصهب الصغير »، حتى سأله أخواه :

— ما اسم الطّفل الذي عُمّد ؟

— البداية.

— يا له من اسم غريب !

ادّعى « الأصهب الصغير »، في الأسبوع الموالي، أنّه قد دُعي ليكون عرّاب طفلٍ آخر. وفي هذه المرة، لم يبق في جرّة العسل سوى نصف ما كان بها. ولمّا سأله أخواه عن اسم الطّفل الذي قَبِل أن يكون عرّابًا له هذه المرّة قال :

— النّصف.

— يا له من اسم غريب !

لم تمضِ إلّا بضعة أيّام، حتّى جاء « الأصهب الصغير » ليخبر أخويه أنّه وافق للمرّة الثّالثة أن يكون عرّابا. وفعل ما كان يفعله في كلّ مرّة وعن اسم الطّفل قال :

— فارغ.

فردّ أخواه كالمعتاد :

— يا له من اسم غريب !

في اليوم الموالي اكتشف الثّعلبان، بينما كانا يرتّبان الوكر أنّ جرّة العسل فارغة، فثارت ثائرتهما. وبعد تفكيرٍ عميق، أدركا أنّ « الأصهب الصغير » ضرب ضربته فراحا يلومانه قائلين :

— لقد استطعت النّيل منّا حقًّا. صحيحٌ أنّك أكلت العسل كلّه لكنّ ذلك لن يدخلك الجنة.

ركض « الأصهب الصغير » هاربًا ليفلت من غضب أخويه، لكنّهما لحقا به، ولمّا أمسكا به أوسعاه ضربًا ثمّ تركاه دون حراكٍ على قارعة الطّريق.

مرّ بالمكان رجلٌ يحمل سمكًا على عربةٍ يجرّها حصان، وما إن وقع نظره على « الأصهب الصغير »، حتّى حدّث نفسه قائلا وهو يرفع الثّعلب من الأرض ليرمي به في العربة : « يا له من فروٍ جميل ».

استعاد الثّعلب وعيه، وراح يتساءل عمّا يفعله بهذا المكان، لكنّه سرعان ما شرع في التهام السّمك بشراهة. وبعد أن ملأ بطنه، رمى ببعض السّمكات على الأرض قبل أن يلقي بنفسه من العربة. ابتعدت العربة، فجمع الثّعلب السّمكات وربطها حول ذيله، ورجع إلى الوكر. وما إن لمحه أخواه، حتّى قالا له غاضبين :

— ألم تفهم أنّنا لم نعد نرغب برؤيتك ؟!

— لقد أحضرت لكما سمكًا بدل العسل الذي أكلته.

— ومن أين جئت به ؟

— اصطدته من البُحيرة.

— وكيف لك ذلك إذا كانت البحيرة متجمّدة ؟

— الأمر بسيط. حفرت جزءا من البحيرة، ووضعت ذيلي بالحفرة، فجاءت الأسماك لتعضّه. وعندما أحسست بوجود ما يكفينا منها، أخرجت ذيلي من الماء.

— اصطحبنا إذن إلى البحيرة، وأرنا كيف فعلت ذلك.

نزع « الأصهب الصغير » الأسماك من ذيله، ورمى بها في الوكر. اتّجهت، بعدها، الثّعالب الثّلاثة إلى البحيرة، وهناك ساعد « الأصهب الصغير » أخويه على الحفر، ثم قال لهما :

— اغطسا ذيليكما في الماء.

نفّذ الثّعلبان ما طلب منهما أخوهما الأصغر، ثم سألاه إذا كان عليهما الانتظار طويلا، فقال لهما :

— يمكنكما سحب ذيليكما عندما تحسّان بزيادة وزنهما.

كان البرد قارصا، وبدأ الجليد يتشكّل من جديد شيئًا فشيئًا، فقال أحد الصّيّاديْن إنّه يحسّ أنّ ذيله صار ثقيلا جدًّا. فقال لهما « الأصهب الصغير »

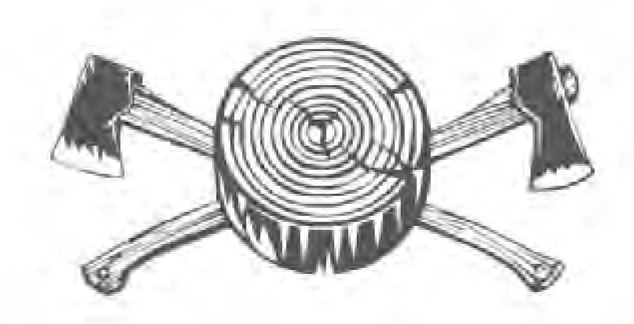
— لقد عضّهما السّمك بالتّأكيد، وعليكما سحبهما بقوّة.

عمل الثعلبان بنصيحة « الأصهب الصغير »، لكنّ ذيليهما كانا حبيسَي الجليد. فقال لهما مشجعًا قبل أن يهرب :

— اسحبا بقوّة، قوّة أكبر، هيّا اسحبا.

وراح التّعيسان يسحبان بقوّة حتّى بترا ذيليهما، فعادا إلى الوكر غاضبين، وهما يلعنان « الأصهب الصغير ». ومذ ذلك اليوم، ما عادا يخرجان إلّا ليلًا تجنّبًا لأن يكونا سخريةً للحيوانات الأخرى.

الخنازير الثلاثة



الصّبر كنز مستتر.

يُحكى أنّ لحطّابٍ ثلاثة أولاد : توأمٌ في العشرين من العمر، طويلان ومفتولا العضلات، وولدٌ في الثّامنة عشر من العمر لا يشبه أخويه إطلاقًا، فقد كان هزيلًا وسقيمًا على الدّوام. تعوّد الحطّاب، عند بداية فصل الخريف، على الذّهاب إلى الغابة لقطع الأشجار والبقاء هناك طويلا حتّى مجيء الرّبيع، فبحلول فصل الشّتاء تُسدّ كلّ مداخل الغابة ومخارجها. وقد قرّر هذا العام أخذ التّوأم معه. وفي ذلك الوقت، لم تكن الطّرقات التي تُؤدّي إلى الغابة قد شُقّت بعد. وكغيرهم

من حطّابي الكيبك، كان على الحطّاب وولديه عبور الأنهار والوديان للوصول إلى الغابة. قبل المغادرة، قال الحطّاب لأصغر أولاده :

— ستبقى هنا مع والدتك، واعمل جاهدًا على مدّ يد العون لها.

— حسنا.

— ستضع الخنزيرة صغارها في غيابنا. عليك أن تعتني بها، فهي ثروتنا الوحيدة.

نقل الحطّاب بمساعدة ولديه القارب الخشبي إلى النّهر، وبعد أن وضعوه في الماء حمل عليه فؤوسه وما حضّرت زوجته من مؤونة. تعانق الجميع، ليبتعد القارب بعد ذلك ببطء. دامت الرّحلة بضعة أيّام، وحينما وصل الحطّاب وولداه إلى الغابة، عملوا مع باقي الحطّابين على بناء الكوخ الذي سيُؤويهم طيلة أيّام الشتاء.

وضعت الخنزيرة صغارها بعد مرور بضعة أسابيع، وكان ثلاثةٌ منها بألوان غريبة أزرق وأصفر وأحمر. فقالت زوجة الحطّاب لابنها :

— أظنّ أنّه من الأفضل قتل الخنازير الثّلاثة، فقد تكون ألوانها الغريبة نذير شؤمٍ لنا.

رفض الفتى تنفيذ ما قالت أمّه خوفًا من غضب والده. وفي المساء وهو خارجٌ من الإسطبل بعد أن أطعم الخنزيرة، سمع ضجّة أثارت مخاوفه فقال :

— أهذه أنت يا أمّاه.

فردّ عليه صوت غريب قائلا :

— كلّا يا بنيّ.

فجأةً أضاء المكان ضوءٌ خيالي، لتظهر امرأةٌ طويلة القامة ذات شعر ذهبي، ترتدي فستانًا أبيض طويلاً زادها حسنًا وجمالا. أُصيب الفتى بالهلع لِما رأى فقالت له المرأة :

— لا تخف، فأنا الجنّيّة التي تسهر على راحة الخنازير الثّلاثة. لقد رفضت قتل الخنازير، وهذا تصرّفٌ ينمّ عن طيبتك ؛ وسأدلّك على ما يمكّنك من تغيير قَدَرك بفضل هذه الحيوانات، لكن عليك أن تضمن لها العيش دون أن يمسها خطب.

— وما بوسعي أن أفعل لأحظى بهذا ؟

— الأمر بسيط، ما عليك سوى أن تعطي ابنة الملك الخنازير الثلاثة دون أن تأخذ منها مالا. اطلب فقط رؤية كعبيها وساقيها وركبتيها. تأمّلها جيّدا فمن شأن أدقّ التّفاصيل أن تصنع سعادتك وهناءك.

اختفت الجنّيّة. وبعد أيّام قلائل، قال الفتى لأمّه :

— إنّ تلك الخنازير الثلاثة نادرةٌ جدًّا، وسأقصد ابنة الملك لأبيعها واحدًا.

— اطلب ثمنا باهظا. إنّها تستطيع الدّفع.

— سأنظر في الأمر.

وقف الفتى، في اليوم الموالي، ببوّابة القصر ومعه الخنزير الأزرق. وما إن بلغ الخبر الأميرة، حتّى أمرت بمثوله أمامها وقالت له :

— أريد أن أحصل على هذا الحيوان، فبكم تبيعني إيّاه ؟

— إنّه ليس للبيع يا مولاتي.

— كيف لي أن أحصل عليه إذن ؟

— برفع فستانك، وإظهار كعبيك يا مولاتي.

— وبما سينفعك هذا ؟

— هذا هو ثمن الخنزير، لا أكثر ولا أقلّ.

— لك ما تريد.

أظهرت الأميرة كعبيها أمام الفتى، فأعطاها الخنزير، ورجع إلى البيت. حينها، سألته والدته :

— بكم بعتها الخنزير ؟ فقال :

— ستدفع لي لاحقًا.

هزّت الأم كتفيها، وواصلت القيام بأشغالها.

في الأسبوع الموالي، ذهب الفتى إلى القصر ومعه الخنزير الأصفر.

فقالت الأميرة :

— بكم تبيعني إيّاه ؟

— إنّه ليس للبيع.

— لا تقل أنّك تريد رؤية كعبي مرّة أخرى ؟!

— بل أريد رؤية ساقيك هذه المرّة.

أرت الأميرة ساقيها للفتى، وحصلت بذلك على الخنزير الأصفر. وفي المنزل، سألت زوجة الحطّاب ابنها عن المال الذي رجع به فقال :

— صبرًا يا أمّاه، ستدفع لي الأميرة لاحقًا.

— اعلم أنّ هذا لن يسعد والدك.

بعد يومين، أخذ الفتى الخنزير الأحمر إلى الأميرة، فقالت :

— فلتخبرني بسرعة ماذا تريد بالمقابل ؟

— أودّ أن أرى ركبتيك يا مولاتي.

— أنت جريء جدّا !

— هذا هو الثّمن.

– ها هي ذي ركبتاي.

أخذت الأميرة الخنزير الأحمر. وعاد الفتى إلى المنزل، فسألته والدته قائلة :

– هل حصلت على المال هذه المرّة ؟

– الصّبر يا أمّاه، المال آت.

مرّت الأيّام والأسابيع، ورأى الملك أنّ ابنته قد بلغت سنّ الزّواج، فأعلن أنّه لن يحظى بالزواج منها سوى من يُخمّن ما العلامة الخاصّة الموجودة بين كعبها وركبتها. جاء الخُطّاب أفواجًا أفواجا من كلّ أنحاء المملكة. وقبل الاستماع لهم، كان الملك يعلمهم بأنّ الخطأ يُكلّفهم شهرًا من الأشغال الشّاقة، الأمر الذي جعل عددًا منهم يتخلّى عن الموضوع. لم يأت أحدٌ بالجواب الصّحيح بل، إنّ واحدا من الأغبياء قال أنّ للأميرة ساقٌ بين كعبها وركبتها، فقال له الملك بعد أن أمر الحرّاس بأخذه لتنفيذ العقوبة :

– لجميع البشر ساق بين الكعب والركبة أيّها الذّكيّ.

لم يكن على علم بالجواب الصّحيح سوى البطل الذي باع الأميرة الخنازير الثّلاثة مقابل رؤية رجليها، غير أنّه لم يكن واثقا من نفسه، وتنفيذه العقوبة يعني بقاء أمّه وحيدة، فوالده وأخواه غائبون، ولهذا فضّل انتظار عودتهم.

عند حلول الرّبيع، عاد الحطّاب وولداه فقال لابنه :

— لقد قابلت الأميرة ثلاث مرّات، ومن المفروض أن يكون الجواب بحوزتك.

— كلّا يا أبي.

طلب الوالد بعدها من التّوأمين المحاولة، فذهبا إلى القصر، وكان جزاؤهما شهرًا من الأشغال الشّاقّة ؛ فقال الولد الأصغر لوالديه :

— سأذهب أنا الآخر وأجرّب حظّي.

رفض الوالد ذهابه رفضا قاطعًا، مخافة أن يعاقب بدوره، وليس له من القوّة ما يسمح له بالمقاومة. غير أنّ الفتى أصرّ وذهب إلى القصر، فقال له الملك بعد أن ذكّره بالعقوبة :

— كلّي آذانٌ صاغية، هات ما عندك.

— مولاي الملك، على ساق ابنتكم اليمنى ثلاث شعرات ذهبيّة.

تفاجأ الملك ولم يتكلّم لبرهة ثم قال :

— بُوركت، أنت من يستحقّ الزّواج من ابنتي.

— شكرا يا مولاي.

— حدّثني عن والديك قليلا.

— والدي حطّاب وأمّي ربّة منزل.

— هل لديك إخوة وأخوات ؟

— لدي أخوان توأمان أكبر منّي سنّا، حكمتم عليهما بشهرٍ من الأشغال الشّاقة البارحة.

— لقد استحقّا ذاك الجزاء، لكن ما داما شقيقاك فسأطلق سراحهما اليوم.

بعد شهرين، أقيمت الأفراح والليالي الملاح. وبات صهر الملك من الأثرياء، كما بات بإمكانه منح عائلته أراضٍ شاسعة وأموالا طائلة. عاش الفتى سعيدا مع الأميرة التي أنجبت له طفلين، ولم ينس أبدا فضل الخنازير الثّلاثة، ولم يتوان يوما عن رعايتها والسّهر على راحتها.

الشجرتان



تشرح الكثير من الحكايات المتداولة بين الهنود الأمريكان أصل الظّواهر والأشياء، أما هذه الحكاية فستُعلمنا لِمَ تأخذ أوراق القيقب لون الدّم، ولمَ تتخلّل لحاء شجرة الباتيولا الفاتح خطوط سوداء.

في سالف العصر والأوان، كانت الأشجار تتكلّم وكانت شجرة القيقب وشجرة الباتيولا صديقتين حميمتين. في يومٍ من الأيّام، أرادت شجرة القيقب معرفة المزيد عن صديقتها فقالت لها :

— يُقال أنّ البشر يصنعون قواربهم وبيوتهم من لحائك، أهذا صحيح ؟

فردّت الباتيولا بكلّ فخر :

— بل ويصنعون قدورًا يطهون فيها طعامهم أيضًا.

— يُقال أيضًا إنّه قد كان لأسلافك لحاءات صافية.

— أجل هذا صحيح، تعالي لأخبرك لمَ لسنا كذلك اليوم. اعلمي جيّدا أنّ واحدة من أسلافي كانت أجمل شجرةٍ في الغابة. لقد كانت مغرورةً إلى حدّ احتقار الجميع. كانت شجرة الصّنوبر ملكة الغابة آنذاك، وكان الجميع يبدي لها الولاء والطّاعة. وفي يومٍ من الأيّام، رفضت جدّتي المغرورة الانحناء لتحيّتها، بل وهزّت أغصانها لإظهار ازدرائها. عبّرت باقي الأشجار التي كانت تخاف الملكة خوفًا شديدا، عبّرت عن رفضها لمَ فعلت الباتيولا وحاولت إقناعها بالتّراجع، لكنّها رفضت بحجّة أنّ شجرة الصّنوبر اغتصبت حقّها في الحكم، وأنّها أجدر بحمل تاج الملك على رأسها، فهي الأجمل بين الأشجار. لم تتقبّل شجرة الصّنوبر سماع هذا الكلام من إحدى رعاياها، فقرّرت معاقبتها ؛ هزت أغصانها الطّويلة، وضربت لحاء الباتيولا الغضّ، فخدشته بأوراقها

الحادّة المدبّبة. ومذ ذلك اليوم، حملت أشجار الباتيولا على لحاءاتها آثار غضب شجرة الصّنوبر.

— صديقتي العزيزة، هذا يعلّمنا أنّ الكِبر والغطرسة من صفات الحمقى. أليس كذلك ؟

— أنت محقّة يا عزيزتي. هلّا حدثتني عن نفسك الآن. أصحيح أن نسغك لذيذ وحلو المذاق ؟

— أجل هذا صحيح.

— ويُقال إنّ الهنود الأمريكان هم من علّموا البِيض الانتفاع منه.

— صحيح، ومن نسغي يصنعون السّكّر والشّراب والحلوى اللّذيذة.

— ولِمَ تصبح أوراقك حمراء في فصل الخريف ؟

— السّبب في ذلك معركةٌ ضاريةٌ بين الأيّل والدّب. كانت الحيوانات تعيش في أمان وسلام بفضل الرّوح الخفيّة التي كانت تنسيهم الجوع والعطش. وفي يوم من الأيّام، اقترح أحدهم تنظيم مسابقةٍ للتّعرّف على أسرع الحيوانات. رفض الدّب المشاركة، فاختير ليكون الحكم. لم يكن نظر الدّب ثاقبا، فما استطاع اكتشاف تحايل الأرنب البرّي الذي

وضع على طول مضمار السّباق عددًا من الأرانب البرّيّة كان كلّ واحدٍ منها يقطع مسافةً معيّنةً بدلا عنه. في نهاية السّباق، أعلن الدّب فوز الأرنب البرّيّ، بينما احتلّ الأيّل وهو أسرع الحيوانات المرتبة الثّانية، الأمر الذي أزعجه كثيرا، لأنّ حيلة الأرنب لم تنطل عليه. بعد بضعة أيّام، التقى الأيّل الدّب ولامه على ما حصل، وانتهى بهما الأمر لشجارٍ حامي الوطيس ؛ هجم الأيّل على الدّب برأسه، فأصابه بجروح بليغة، ولولا تدخّل بعض الحيوانات لكان الدّب قد مات. توغّل الأيّل في الغابة، وقرونه تقطر دمًا، فلطّخ أوراق إحدى جدّاتي، ممّا أعطاها اللّون الأحمر الذي يظهر عليها في فصل الخريف. ولتعذيب الحيوانات قرّرت الرّوح الخفيّة جعلها تحسّ بالجوع والعطش، وتذكيرها كلّ عام، عندما تأخذ أوراق القيقب لون الدّم والنّار، بأنّ الشّجار وضع حدًّا للسّعادة التي كانت تنعم بها.

— حقًّا يا صديقتي. الكِبر والغطرسة والعنف كلّها من صفات الحمقى.

خيّم الظّلام، وتعانقت الشجرتان، ونامتا بسلام.

الحزام



إذا سُدّت الطّريق في وجهك،
فما المانع من أنْ تسلك غيرها ؟

يُحكى أنّ فتى يتيمًا كان يعيش مع والدته في فقرٍ مدقع. فلم يكن لديهما ما يكفي لسدّ جوعهما. وفي يومٍ من الأيّام، اقترح الفتى على أمّه ترك الديار، ووافقت الأم ابنَها الرأي.

شدّ اليتيم ووالدته الرّحال، وأغلقا باب كوخهما البائس، ومضيا في طريقهما. كانا يسيران من طلوع الفجر إلى غروبِ الشّمس، ولم يكونا قد أحضرا معهما سوى خبزٍ قليلٍ

سرعان ما نفد، ولم يصبح أمامهما غير ثمار الأشجار التي كانت الأمّ تشويها على الحطب. بعد أن قطعا مسافة طويلة، تسلّق الفتى شجرةً ليقطف ثمارها، وبعد أن تذوّقها تذمّر من طعمها المرّ. همّ الفتى بالنّزول غير أنّه لمح حزامًا أسود يهزّه النّسيم خُطّ عليه حرفان بالذّهب، فقرّر أخذه، وما إن لمس يديه حتّى أحسّ القوّة تدبّ في عظامه. رفع الفتى قميصه، وربط الحزام حول بطنه، وواصل مسيره بصحبة والدته. وعند بلوغهما إحدى أشجار القيقب، قال لوالدته أنّه سيحاول اقتلاعها، فمنعته قائلةً أنّ الأمر مستحيل، غير أنّه تمكّن من ذلك دون عناء. لم تصدّق الأمّ ما رأت فقال الفتى :

— لقد منحني هذا الحزام قوّة خارقة.

حلّ المساء. ووسط الظّلام الحالك، لمحت المرأة ضوءا يلوح من بعيد، فقالت لولدها :

— سأنتظر هنا فأنا منهكة. اذهب وحاول الحصول على بعض الطّعام، فأظنّ أنّ ثمة منزلا ليس ببعيد.

مشى الفتى إلى أن بلغ منزلا حقًا. قرع الباب، فسمع صوتًا يقول له :

— ادخل.

فتح الفتى الباب ودخل، فوجد نفسه أمام عملاقٍ مخيف لم يهتزّ لرؤيته، وكان ذلك بفضل الحزام.

— ماذا تريد ؟

— أريد طعامًا لي ولوالدتي.

— وأين والدتك ؟

— لقد توقّفت على قارعة الطّريق لكي ترتاح.

— أحضرها إلى هنا. سأطعمكما وبإمكانكما قضاء اللّيلة عندي.

أحضر الفتى والدته، فارتعبت لرؤية العملاق، لكنّها حاولت تمالك نفسها قدر المستطاع. قدّم العملاق لحمًا وخبزًا لضيفيه. وبينما كانا يأكلان، لاحظ أنّ المرأة جميلة، فأعلم ابنها أنّه يرغب في الزّواج منها. فقالت :

— سنناقش الموضوع لاحقًا، أنا الآن متعبة وأريد أن أنام.

خلد الجميع للنّوم. وفي الغد، أيقظ العملاق الفتى فجرًا، وقال له :

— سأذهب إلى البُحيرة لأسبح كما أفعل كلّ يوم. أترافقني ؟

رافق الفتى العملاق، وعندما وصلا إلى البحيرة خلعا ثيابهما، فرأى العملاق الحزام الذي يطوّق بطن الفتى وعرفه

لوجود الحرفين الذّهبيين عليه، وما كان عليه إلا أن انتزعه منه قائلا :

— هذا الحزام لجدّي. من أين أتيت به ؟

— لقد كان على غصن شجرةٍ ليست ببعيدة عن هنا.

— لا بدّ أنّ جدّي قد مرّ بالقرب من تلك الشّجرة منذ شهرين تقريبا. ومن الممكن، أن يكون قد لقي حتفه هناك. لقد راح في رحلة صيد، ولم يعد منها.

وضع العملاق الحزام على ثيابه، فثارت ثائرة الفتى لكنّه لم يجرؤ على معارضته، فبدون الحزام لا يستطيع فعل شيء. لم يكن أمامه إلا أن عاد للسباحة وتبعه العملاق. وعند عودتهما إلى المنزل، كانت والدة الفتى قد استيقظت. قدّم العملاق الطّعام، وعاود فتح موضوع الزّواج. لم تستطع الأمّ التّعبير عن رفضها، فقد كانت خائفةً من العملاق ولهذا ردّ ابنها بدلا عنها قائلا :

— لا يتزوج العملاق إلّا عملاقةً مثله.

صاح العملاق، حينها، غاضبا. وانقض على الفتى ومزّقه إربا إربا. وبينما كانت الأمّ تنتحب، جمع العملاق أشلاء الفتى ووضعها في كيسٍ على ظهر أحد جياده ثمّ نخز مؤخّرته لينطلق.

قطع الحصان مسافةً طويلةً ليصل، في الأخير، إلى منزلٍ تسكنه جنّيّة وضعت على سوره ديكا ليعلن عن قدوم الزوّار. سمعت الجنّيّة صياح الدّيك، فخرجت لترى من بالباب. اقتربت من الحصان، وفتحت الكيس الموجود على ظهره. وحين رأت أنّ به أشلاءً تمتمت قائلة :

— لديّ ما يصلح هذا.

دخلت الجنّية منزلها، وعادت بإناءٍ كبير به صمغ مرّرته على جميع أجزاء جسم الفتى لتلصقها، فعاد إلى سابق عهده. أخرجت بعد ذلك أنبوبًا ذهبيًّا من جيبها، وأدخلته بمناخير المسكين، ونفخت بها، فبُعث الفتى من جديد وشكر الجنية الحسناء جزيلا.

— لقد كنت ضحية عملاق ولا بد أن أنتقم منه وأنقذ والدتي التي أسرها.

— سأعطيك ما من شأنه أن يساعدك.

ذهبت الجنية ورجعت بخنجر صغير جدا أعطته للفتى وقالت :

— إنه خنجر سحري يمكنك التحكم في حجمه كيفما تشاء.

— أشكرك جزيل الشّكر، وسأكون سعيدًا إذا سمحت لي بالعودة إلى هنا.

فردّت عليه الجنية وابتسامةٌ مشرقةٌ تزيّن وجهها :

— على الرّحب والسّعة.

امتطى الفتى الحصان بسرعة ثم ودّع الجنّيّة، وغادر المكان متّجهًا نحو البُحيرة التي يسبح فيها العملاق كلّ يوم. عندما وصل، اختبأ بين الأحراش، وراح يترقّب، وما إن غطس العملاق في الماء، حتّى سارع لأخذ الحزام وابتعد بهدوءٍ ليذهب إلى والدته التي تفاجأت لرؤيته وعانقته وهي تقول :

— أنا لا أصدّق عينيّ. أنت لا تزال على قيد الحياة. هذا غير معقول !

— أجل يا أمّاه، أنا هنا حيٌّ أُرزق بفضل إحدى الجنّيّات. فقالت الأمّ :

— هيا بنا، فلنهرب قبل مجيء العملاق.

— لا، لا بدّ أن نبقى هنا لكي أنتقم.

— سيقتلك يا ولدي.

— لا تخافي، لن يقدر على فعل شيء.

بفضل الحزام والخنجر السّحري، صار الفتى لا يُقهر. وحينما جاء العملاق، لم يتوان عن تقطيعه إربا. ثمّ امتطى وأمّه الحصان، وابتعدا بسرعةٍ ليقصدا بيت الجنّيّة التي سُرّت كثيرا لرؤيتهما.

أُعجب الفتى بالجنّيّة الحسناء، وما هي إلّا أيّام قلائل حتّى تزوّجا وعاشا في سعادةٍ وهناء مع أطفالهما. كان الفتى يصطاد الحيوانات والأسماك لتوفير الغذاء لعائلته. وكانت الجنّيّة تعتني بالأطفال، وقد زاد ما أُوتيت من قدرات في سعادة العائلة. عاشت والدة الفتى معه وكان الجميع ينعمون بسعادةٍ ما بعدها سعادة. ولم يندم الفتى ووالدته على مغادرة كوخهما المتواضع.

الملكة المذنّبة



ثراء الإخوة الثلاثة في اتحادهم.

يُروى أنّ ثلاثة يتامى كانوا يعيشون في بيت العائلة المتواضع الذي ورثوه عن أبيهم وأمّهم. بلغ الإخوة سنّ الزّواج لكن ما من فتاةٍ قبلت بهم بسبب فقرهم المدقع.

في يومٍ من الأيّام، قرّروا الذّهاب للبحث عن الثّروة. شدّوا الرحالَ، وغادروا معًا سالكين الطّريق ذاتها إذ لم يكن هناك غيرها. وبعد مسيرة أيّام، بلغوا مكانًا يدعى صليب مفترق الطّرق بسبب الصّليب الذي ارتسم بمركزه، وقرّروا الالتقاء في نفس المكان بعد ثلاثة أعوام.

مشى الأخ الأكبر طويلا قبل أن يبلغ ميناءً ركب به قاربا قاده إلى إفريقيا، بينما قصد الثّاني ميناءً آخر مكث به لبضعة أيّام قبل أن يركب باخرةً أخذته إلى أوربا، أمّا الثّالث وهو أصغرهم فقد عبر إقليم الكيبك الشّاسع الذي لم يكن يحمل هذا الاسم في تلك الفترة من الزّمن الماضي، وعبر بعده بلدانا كثيرة ليصل في الأخير إلى بلاد غريبة غير معروفة.

كان الفتى منهكا، ولم يكن بحوزته ما يسدّ به جوعه فجلس على جذع شجرةٍ عملاقة وأجهش بالبكاء وهو يفكّر في أخويه. وفي تلك الأثناء، مرّت به جنّيّة وسألته عمّا يحزنه فراح يشرح لها قائلا :

— لقد خرجت قبل عامٍ من الآن بحثًا عن الثّراء والزواج، لكن ما من فتاة قبلت بيٍ وها أنا ذا خالي الوفاض، وأبأس حالا ممّا سبق، بل أخاف أن أموت جوعا فلا مال لدي.

— لا تجزع سأمنحك هذه الثّروة. إليك هذه الصّرة العجيبة. أمسك إنّها عجيبة فعلا، فمهما أخذت منها لا تنفد أبدا.

سُرّ الفتى كثيرا، وشكر الجنّيّة ثم واصل مسيره فلا يزال أمامه عامان قبل لقاء أخويه. في صباح الغد، وصل إلى إحدى المدن، ودخل مطعمًا حيث أكل حتّى شبع ثم ابتاع ملابس

جميلة وقصد بائع خيلٍ واشترى حصانا رائعا. وكانت فرحته لا توصف عندما تبيّن له أنّ ما بصرّته من المال لم ينقص فلسا واحدا.

بعد شهور معدودات، مرّ بقصرٍ قال له أحدهم إنّه قصر الملكة، فطلب منها استضافته. كان الفتى وسيمًا وثيابه تدلّ على ثرائه ممّا جعل الملكة تقبل الأمر. وعلى مائدة العشاء، طلبت منه أن يحدّثها عن مغامراته، فراح يروي لها أحداث رحلته دون أن يخبّئ شيئا حتّى قصّة الجنّيّة التي منحته صرّة المال العجيبة. فقالت الملكة :

— من الصّعب تصديق ما تقول، هذا لا يُعقل !

— أنا أقول الحقيقة، وسأثبت لك ذلك.

أخرج الفتى الصّرة من جيبه، وشرع في إفراغها على مرأى من الملكة وقال :

— ألا تلاحظين أنها تبقى ممتلئة حتى بعد أن حاولت إفراغها ؟

— هذا عجيب، أنا لم أرَ قَطّ صرّة كهذه، هل تبيعني إيّاها ؟

— لا، هذا مستحيل. هذه الصرّة تدرّ عليّ مالا يفوق بكثير المال الذي قد تعطيني إياه ثمنا لها.

لم تصرّ الملكة. وبعد العشاء، أمرت إحدى وصيفاتها بصنع صرّة مماثلة لصرّة الفتى. وبينما كان الجميع يغطّون في نوم عميق، أخذت الصّرّة العجيبة ووضعت مكانها المزيّفة.

في صباح الغد، امتطى الفتى حصانه، وغادر قصر الملكة. وعند منتصف النّهار، دخل ليأكل في أحد المطاعم. وعندما آن أوان دفع ثمن الطّعام، اكتشف أنّ مال صرّته نقص وعرف أنّ الملكة سرقت صرّته العجيبة. كان أسى الفتى كبيرا، لكنّه لم يجرؤ على العودة إلى قصر الملكة، فقد كان متأكّدا أنّها أمرت بمنعه من الدّخول، وما كان أمامه إلا مواصلة مسيره.

كان الفتى على بعد يومٍ أو يومين من صليب مفترق الطّرق حين لمح شجرة تفّاح مثقلةً بالثّمار. ترجّل عن ظهر حصانه وتسلّق الشّجرة، فلاحظ أنّ عليها تفّاحاتٍ كبيرة وأخرى صغيرة. قطف أكبر التّفاحات، وبدأ يأكل منها. وما هي إلا دقائق حتّى أحسّ بثقلٍ غير معتاد في مؤخّرته. وعندما التفت، وجد أنّ لديه ذنبًا طويلا يزيد طوله كلّما أكل أكثر ؛ فراح يصيح قائلا :

— يا للهول، كيف لي أن أقابل إخوتي وأنا بهذا الشّكل؟! أهذه التّفاحات هي السّبب فيما يحصل لي ؟

توقّف الفتى عن أكل التّفاح، فلاحظ أنّ الذّيل توقّف عن النّمو، فخطر بباله تذوّق التّفاحات الصّغيرة. وما إن شرع

في الأكل، حتى أخذ طول الذيل يتناقص، فأكل الكثير منها ولم يتوقّف حتى اختفى الذيل. أخذ بعد ذلك عددا من التفاحات الصغيرة وعددا من الأخرى وواصل مسيره.

وصل الفتى إلى صليب مفترق الطّرق قبل أخويه، فجلس يندب حظّه، لأنه لن يستطيع إخبارهما عن الصّرّة العجيبة التي أضاعها بسبب غفلته ولا مبالاته.

جاء الأخ الأكبر في اليوم الموالي، وقال لأخيه فخورا :

— لقد حصلت على معطفٍ عجيبٍ لا يمكن لأحد أن يراك إذا ارتديته، ومن شأنه أن يساعدنا على تجميع الثّروة. هات ما لديك أنت.

— لقد أعطتني جنّيّة صرّة مال عجيبة لا تنفد أبدا، لكنّ الملكة سلبتني إيّاها.

— لا بدّ من التّفكير في حيلةٍ لاستعادتها.

— بعد ساعات، وصل الأخ الأوسط ممتطيًا صهوة حصانٍ رائع، والابتسامة مرتسمةٌ على وجهه وقال لأخويه :

— لقد جئتكم بحصانٍ سريع كالبرق، يقطع مسافاتٍ طويلة في لمح البصر. ماذا عنكما ؟

قصّ عليه الأخ الأصغر، والأسى يمزّق قلبه، كلّ ما حصل له ثمّ أضاف :

— لم يبق بحوزتي سوى تفاحاتٍ عجيبة، الكبيرة تعطيك ذنبًا والصّغيرة تخلّصك منه.

جاء دور الأخ الأكبر ليحدّث أخاه عن المعطف العجيب الذي عاد به، ثمّ عرض على أخيه الحزين فكرةً ذكيّةً خطرت بباله :

— لمَ لا نستغلّ هذا الحصان العجيب لنصل إلى قصر الملكة في لمح البصر، وهناك تضع المعطف العجيب وتتسلّل إلى غرفة الملكة وتستعيد صرّتك العجيبة.

نفّذ الإخوة الخطّة، وما إن دخل الأخ الأصغر غرفة الملكة حتّى وضع عددا من التّفّاحات الكبيرة على الطّاولة وراح ينتظر. عادت الملكة بعد ساعات ومعها إحدى وصيفاتها وعندما رأت التّفاحات ظنّت أنّ الخادمة وضعتها فقالت :

— يا إلهي، لقد أسالت هذه التّفاحات لعابي فلنتذوّقها.

أكلت المرأتان التّفاح، واستمتعتا بطعمه اللّذيذ، وفجأةً قالت الملكة لوصيفتها :

— انظري خلفك، لقد صار لديك ذنبٌ طويل. فردّت الوصيفة :

— أنت أيضا يا مولاتي.

أجهشت المرأتان بالبكاء من هلعهما وخجلهما ممّا جرى لهما، وبينما هما كذلك خلع الفتى المعطف العجيب. فتفاجأت الملكة وقالت :

– سأنادي الحرّاس وآمر بقطع رأسك.

– لن يستطيعوا الإمساك بي فهذا المعطف يجعلني خفيًّا.

– ماذا تريد منّي ؟

– استرداد الصّرة العجيبة التي سلبتني إيّاها.

– أردّها لك على شرط أن تخلّصني أنا ووصيفتي من ذيلينا.

أعطى الفتى الوصيفة تفّاحة صغيرة، وعندما انتهت من أكلها اختفى ذيلها. فقال الفتى :

– أعيدي صرّتي وسأخلّصك من الذّيل.

أعادت الملكة الصّرة للفتى وقالت :

– هيّا، خلّصني من هذا الذّيل اللّعين.

– سيبقى الذّيل معك ما حييتي عقابًا لك على سلبك صرّتي.

وضع الفتى المعطف وخرج من القصر ليلتحق بأخويه اللّذين قالا له :

– لقد تأخّرت في العودة، وبدأنا نقلق بشأنك.

– استرجعت صرّتي العجيبة، فلنسرع في الرّحيل وإلّا لحق بنا جند الملكة.

ركب الإخوة الحصان مرّةً ثانية، وفي لمح البصر، وصلوا إلى البيت.

صار الإخوة أثرياء، وبنوا ثلاثة منازل حول المنزل العائلي، وعاشوا في سعادةٍ وهناء مع زوجاتٍ جميلات، أمّا الملكة فقد لُقّبت بالملكة المذنّبة وهو لقب لازمها إلى أن ماتت.

لعقاب البحر طوق أبيض، لماذا يا تُرى ؟



عُقاب البحر طائرٌ ذو أقدام ملتحمة الأصابع. يعيش في نصف الكرة الأرضيّة الشّمالي. وتوضّح هذه الحكاية الشّائعة بين الهنود الأمريكان من أين جاء العُقاب بالطّوق الأبيض الذي يلبسه مع ثوبه الأسود.

في قديم الزّمان وسالف العصر والأوان، كانت قبيلةٌ هنديّة تعيش على ضفّة بُحيرةٍ كبيرةٍ بالكيبك. كان زعيم القبيلة الذي يُدعى « الذّئب الأمريكيّ الماكر » يعيش في كوخٍ هنديٍّ واسعٍ مع زوجته المدعوّة « الذّئبة السّمراء » وابنهما

« الثّعلب الكبير ». كان الطّعام في القبيلة يكفي الجميع، فالأسماك في البحيرة كثيرة، والطّرائد في الغابات وفيرة، وحقول الذّرة شاسعة. كان كلّ شيء جميلًا، والكلّ ينعم برغد العيش على الرغم من برودة بعض أيام الشتاء وقسوتها. كان أهل القرية جميعهم يقومون بما لديهم من أشغال من طلوع الفجر إلى غروب الشّمس، أما الليل فهو محرّم على الجميع، إنّه مِلكٌ لإله الليل عُقاب البحر، ولا أحد يجرؤ على الخروج ليلا. وكان ساحر القبيلة يردّد على الدّوام أن عُقاب البحر مَلِك الظّلام يُعاقب كل من يخرج ليلا بإخفائه إلى الأبد.

كان أفراد القبيلة جميعهم يخافون عقاب البحر ما عدا « الثّعلب الكبير » ابن زعيم القبيلة، وهو فتى في الخامسة عشر من العمر، قويّ البنية شجاعٌ ومقدام ويهوى الصّيد، كما عُرف عنه ذكاؤه الخارق.

ناقش الفتى أمر حظر الخروج ليلا مع من يكبرونه سنًّا ويفوقونه خبرةً. وبعد تفكيرٍ طويل، كوّن رأيا بهذا الشّأن. وفي يوم من الأيّام، قرّر أن يحدّث والده بصراحةٍ عن الموضوعً، فقال له بكلّ ثقة :

— إنّ ما يقوله السّاحر عن عُقاب البحر ليس صحيحًا.

دُهش الأب وقال لابنه :

— كيف تجرؤ على قول هذا ؟! احذر من أن يسمعك أحدهم، فستكون العواقب وخيمة.

لم يصرّ « الثّعلب الكبير » على رأيه، وانتظر حتّى غطّ الجميع في نومٍ عميق ثمّ خرج خفية. تأمّل الفتى البدر، ومتّع ناظره ببريق ولمعان النّجوم. كانت تلك هي المرّة الأولى التي يخرج فيها ليلا، ولم يندم أبدا على ذلك، فقد كان المنظر خلّابا. مشى « الثّعلب الكبير » صوب البُحيرة، وهناك ركب قاربه وابتعد عن الضّفة.

في صباح يوم الغد، لاحظت « الذّئبة السّمراء » غياب ولدها فخرجت من المنزل لتجد أنّ قاربه اختفى هو الآخر، فقال لها زوجها :

— أنا متأكّد أنّه خرج ليلا، ألا تذكرين ما قاله لي البارحة ؟

فقالت « الذّئبة السّمراء » وهي تنوح :

— لقد أراد أن يتحدّى عُقاب البحر وهو الآن ميت لا محالة.

علم ساحر القبيلة بما جرى، فبدأ في تحضير مراسيم الدّفن، وأعلن للجميع أنّ فعلة « الثّعلب الكبير » ستسلّط عليهم غضب عُقاب البحر، ولا بد من استسماحه بتقديم القرابين.

لم تتقبّل « الذّئبة السّمراء » موت ابنها، وتوسّلت زوجها أن يؤخّر مراسيم الدّفن لأسبوع، يبحثان خلاله عن ابنهما بمساعدة أفراد القبيلة جميعهم. في المساء، أعلن زعيم القبيلة على الملإ أنّه لا بدّ من البحث عن « الثّعلب الكبير » لمدّة سبعة أيّام، وأرسل أوّل قارب بحث.

مشت « الذّئبة السّمراء »، بمحاذاة البحيرة، بحثًا عن أيّ أثرٍ لابنها. وقبل أن يخيّم الظّلام، أخذت حجرًا أبيض وثقبته ثمّ أدخلت بالثّقب خيطًا من الجلد، وربطته حول عنقها، وقرّرت أن تفعل الشيء ذاته كلّ يوم لتعُدّ الأيّام. بدأت الشّمس تغطس في البُحيرة. وفي تلك الأثناء، عاد القارب ولم يكن قد عثر على الفتى الغائب.

في اليوم الثّاني أرسل زعيم القبيلة قاربين عادا من دون ابنه، وفي اليوم الثّالث أرسل ثلاثة قوارب... كان الرّجل يزيد عدد القوارب التي يرسلها واحدا كلّ يوم، وفي اليوم السّابع، أرسل سبعة. وقبل مغيب الشّمس، التقطت « الذّئبة السّمراء » حجرها السّابع وثقبته كما اعتادت أن تفعل ثمّ ألحقته بالأحجار السّتة التي كانت بالخيط الجلديّ حول عنقها، واعتقدت حينها أنّها لن تُعاود رؤية ابنها بعد اليوم.

بعد برهة، سمعت المرأة أصواتا آتيةً من وسط البحيرة، فركضت صوب المكان الذي ترسو به القوارب، وهناك رأت

الرّجال من بعيد يجدّفون بقوّة ويقتربون بسرعة، وقد كان « الثّعلب الكبير » بينهم حيًّا يُرزق، وما إن لمح والدته حتى قفز ليجد نفسه على الضّفة بالقرب من أمّه التي حضنته بحنان، ليحضنه والده، بعدها، هو الآخر ويقول له :

— هات ما بجعبتك ! أخبرنا بما جرى معك !

— كانت ملايين النّجمات تتلألأ في السّماء، وكانت صورة القمر ترقص على البحيرة السّوداء. ركبت قاربي وجدّفت بقوّة، فجأةً، انقلب القارب دون سابق إنذار. حاولت مقاومة التّيار، لكنّ الماء حملني وفقدت وعيي. وعندما استفقت، وجدتُني في عشٍّ كبير تكسوه أوراق الشّجر، وأحسست بوجود أحدهم إلى جانبي. استدرت، فرأيت عُقاب البحر الذي راح يطمئنني، ولم يقل لي شيئا بشأن خروجي ليلا، ولم يعتب عليّ، ولم يلمني، بل أعطاني سمكًا. وبعد أيّام، دبّ النّشاط في جسدي من جديد، وكنت على أحسن ما يرام في عشّ عقاب البحر ملك الظلام، ولم أفكّر قطّ في العودة إلى أن رأيت القوارب اليوم...

— فلنرجع إلى المنزل يا بنيّ.

عاد الوالد وابنه إلى المنزل، لكنّ « الذّئبة السّمراء » ركبت أحد القوارب، وابتعدت عن الضّفة. وفي وسط البحيرة،

توقّفت عند عشّ عُقاب البحر، وأخرجت طوق الأحجار البيضاء من جيبها، وربطته حول عنق الطّائر، وشكرته على اعتنائه بابنها.

ومذ ذلك اليوم، بات لعقاب البحر طوقٌ أبيض جميل يضعه على ثوبه الأسود.

الخطبة



في الكيبك، كما في غيرها من البلدان، الزّواج من أميرة يتطّلب قدْرًا كبيرًا من المال أو الذّكاء والدّهاء.

كان يا ما كان في قديم الزّمان وسالف العصر والأوان، كانت امرأة تعيش في الكيبك مع ولدها الذي تعتني به بمفردها. كان الولد مهذّبًا، لكنّه لا يملك قدرا كبيرا من الذّكاء والحيلة. وفي يومٍ من الأيّام، قرّر أن يتزوّج، فقال لأمّه :

— لقد قرّرت خِطبة الأميرة.

— تريّث يا ولدي. نحن فقراء، ولن يقبل الملك تزويجك ابنته. زيادةً على هذا، أنت لا تعرفها. هل حصل أن رأيتها من قبل ؟

— أجل رأيتها، ووقعت في حبّها ولا يهمّ وضعنا المالي.

— لكي تبلغ مرادك يا بنيّ تحتاج إلى المال والجاه.

— لديّ ما هو أهمّ. لدي الحبّ الذي أكنّه للأميرة.

لم تستطع الأمّ فعل شيء أمام إصرار ابنها، فقرّرت مساعدته. اشترت المسكينة بما كانت تدّخره من مال ملابس جديدة وأنيقة لولدها لتليق بمقابلة الملك، ودعت بعدها عمّ الفتى حتّى يرافقه إلى القصر، وقالت له :

— أنت تعلم أنّ ولدي ساذجٌ جدّا، ومن الوارد ألّا تنفعه إجاباته على أسئلة الملك. وبالتّالي، لا بدّ أن تعارض ما يقوله دون تفكير.

بعد أيّام، قصد الفتى قصر الملك بصحبة عمّه. ارتدى الاثنان أجمل الثّياب، الأمر الذي ساعدهما على إقناع الحرّاس بالسّماح لهما بالدّخول.

استقبل الملك الفتى وعمّه وقال لهما :

— هاتا ما عندكما.

لم يقدّم الفتى نفسه للملك، بل أعلن له مباشرة عن رغبته في الزّواج من ابنته. ابتسم الحاكم ثمّ أرسل في طلب الأميرة. وحين جاءت، شرع في طرح الأسئلة على الخاطب :

— هل تنحدر من عائلةٍ ثريّة ؟

— نحن نملك عددًا من الأراضي وذاك كلّ شيء.

تدخّل العمّ لإصلاح الأمور فقال :

— ابن أخي متواضعٌ يا مولاي. في الحقيقة، ثروته طائلة، فهو يملك ما يزيد عن نصف الأراضي الزّراعيّة في المنطقة.

هزّ الملك رأسه تعبيرًا عن اهتمامه، ثمّ وجّه نظرةً إلى ابنته تنِمّ عن أنّ الخاطب مهمّ ثم قال :

— هل لديكم الكثير من العمّال والمزارعين ؟

— مذ أن مات والدي، لا أحد يزرع الأرض غيري أنا ووالدتي. فعقّب العمّ قائلا :

— في الواقع، يُشغّل ابن أخي ما يربو عن ألف رجلٍ وامرأة.

بدت على الملك علامات الرّضا والقبول، كما وشوش ابنته قائلا إن الخاطب لا يُعوّض. ظنّ الفتى أنّه على بعد خطوة

من تحقيق مراده، فأحسّ بالارتياح والثّقة، وتجرّأ على حكّ ظهره الذي أزعجه. لاحظ الملك الأمر فقال :

— ما الذي يجعلك تحكّ ظهرك ؟

قال الفتى :

— هذه مجرّد دملة.

— لا يا مولاي، ظهر ابن أخي مليء بالدّمامل.

بعد أن سمعت ما قاله العمّ، تدخّلت الأميرة التي لم يعجبها الخاطب البتة، وقالت قبل أن تنصرف :

— فليعد عندما يتخلّص من دماملة إذا.

هزّ الملك كتفيه، وانصرف هو الآخر. وغادر الرجل وابن أخيه القصر بخُفَّي حُنَيْن.

الجسر



هل النّساء حقًّا أمكر وأدهى من الشّياطين ؟

يُروى أنّ حطّابًا فقيرا قرّر بناء جسرٍ يصل قريته بالقرية المجاورة. حاولت زوجته إقناعه بالإعراض عن ذلك، لكنّه أصرّ ولم يأخذ بنصيحتها. وقال لها :

– الحطب متوفّر ولن يكلّفني شيئًا، يكفي أن أذهب إلى الغابة لأجلب الكثير.

– أنت محقّ، لكن لن تستطيع إقامة جسر بمفردك. أنت بحاجة إلى من يعينك ولا تملك مالا تدفعه للعمّال.

— الأمر في غاية البساطة، عندما أنتهي من بناء الجسر، سيدفع لي كلّ من يرغب في استعماله. وحينها، أصبح ثريًا، وأدفع لكلّ من ساعدني.

شرع الحطّاب في العمل. قطع عددا من الأشجار الكبيرة بمفرده، ثمّ بحث عمّن يساعده، وانتهى بإقناع ثلاثة فتيةٍ مفتولِي العضلات، وتعهّد بدفع أجرتهم عندما ينتهي من بناء الجسر. بينما كان الفتية يقطعون جذوع الأشجار، ذهب الحطّاب لاستعارة حمار الكاهن لنقلها إلى النّهر، لكن للأسف حدث ما لم يكن في الحسبان : سقط جذع شجرةٍ في النّهر، وسحب معه الحمار الذي مات على إثر ذلك، وكاد أحد العمّال يقضي حتفه هو الآخر لولا أن ساعده أصدقاؤه بقطع الحبل الذي علق برجله. تفطّن العمّال الثلاثة، بعد الحادث، أنّ عملهم محفوفٌ بالمخاطر فقرّروا التّوقّف.

جلس الحطّاب على جذع شجرة، ووضع فأسه بجانبه، وراح يندب حظّه متسائلا كيف له أن يتابع العمل بمفرده. إنّ الحظ السّيئ يلاحقه. لم يكن يجني الكثير من عمله كحطّاب، كما لم يكن له ما يكفي من المال ليدفع لمن يساعده على إقامة الجسر، حتّى أولئك الذين قبلوا الحصول على أجرتهم في وقت لاحق تخلّوا عنه بسبب حادثٍ أحمق، ليس هذا فقط بل عليه أن يعوّض الكاهن عن ثمن الحمار. وفيما

كان كذلك، سقط غصن شجرة، فأخرجه من غيبوبته. رفع الحطّاب رأسه، فلمح عجوزا يلبس ثوبًا أسود واقفًا أمامه.

— ما الذي يحزنك أيها الرّجل الطّيّب ؟

قصّ الحطّاب كلّ ما جرى له على مسامع العجوز، فقال له :

— أتريد أن أساعدك على بناء الجسر ؟

— بالطّبع أريد، وكن متيقّنا أنّي سأدفع لك عندما يدرّ عليّ المال الكثير.

— أنا لا أريد مالا، أريد شيئا آخر...

— مهما كان طلبك، سأُنفّذه دون تردّد.

— حسنا، أودّ امتلاكك بعد عامٍ من الانتهاء من إنجاز الجسر.

ردّ الحطاب دون أن يمعن التّفكير وقال :

— لك ما طلبت، وأعدك أن أوفي بوعدي.

— إلى الغد إذن.

رجع العجوز في الغد ومعه عشرة عمّال. عمل الجميع بتفانٍ دون انقطاع، وبعد أسبوع كان الجسر جاهزا ؛ فقال العجوز للحطّاب قبل أن يغادر هو وعمّاله :

— سأرجع العام المقبل.

علم أهل القرية بأنّ الجسر قد أُقيم، فجاءوا ليهنّئوا الحطّاب الذي كان في سعادة ما بعدها سعادة، فخورا بما أنجز. لم يمض وقت طويل، حتّى بدأ الجميع في استغلال الجسر، فقد كان يوفّر عليهم المشي لمسافات طويلة ليبلغوا القرية المجاورة، وكانوا يدفعون للحطّاب مقابل ذلك، وهذا ما ساعده على تعويض الكاهن عن حماره في غضون بضعة أيّام. مرت ستة أشهر، بنى الحطّاب خلالها بيتا كبيرا، وتغيّرت حياته لدرجة أنّ الجميع باتوا يقولون أنّه سيصبح قريبا أغنى أغنياء القرية.

عاش الحطّاب في سعادةٍ وهناء لكنّ زوجته لاحظت أنّ شيئًا ما يعكّر صفو حياته، وأنّ شروده يتزايد يومًا بعد يوم، فأرادت معرفة ما يؤرّقه. وبعد أن سألته، نفى الأمر قائلا :

— لا داعي للقلق فكلّ شيء على ما يرام.

لم تقتنع المرأة بكلام زوجها، وعاودت سؤاله بعد أيّام، وانتهى بالبوح لها بأنّه عقد اتّفاقًا مع عجوزٍ يلبس ثوبًا أسود ثمّ روى لها كلّ ما جرى ؛ فقالت وهي تنتحب :

— يا لتعاستك ! لقد بعت نفسك للشّيطان !

كانت المدّة التي اتّفق عليها الحطّاب والشّيطان على وشك الانتهاء، ولم يبقَ أمام المرأة إلا القليل من الوقت لمحاولة الحفاظ على زوجها، فقالت له :

— متى يأتي ذلك العجوز اللّعين ؟

— سيكون هنا في مساء الغد.

فكّرت المرأة في الذّهاب إلى الكاهن لتطلب النّصح، فقال لها زوجها :

— إيّاك أن تفعلي ذلك. إن بلغ أهل القرية ما فعلت فلن يكلّموني، ولن يستعملوا جسري بعد اليوم.

— أنت محق.

فكّرت المرأة مليّا، حتى وجدت حلّا فضلت ألا تطلع زوجها عليه. في اليوم الموالي، بعد أن أسدل الليل ستاره وخيّم الظلام، سمع الزّوجان قرعا بالباب، وكان ذاك الزائر الذي طالما خافا قدومه. سلّم الزائر على أهل البيت، ودخل دون أن يسمح له أحد بذلك ثمّ قال :

— لقد جئت لآخذ ما هو لي. فراحت المرأة تتوسّله قائلة :

— لا تأخذ زوجي الآن. أرجوك أن تتركه لي قليلا.

— إلى متى ؟

— إلى أن تنصهر تلك الشّمعة الصّغيرة الموضوعة على الطّاولة.

— إذا كان الأمر كذلك فلن أرّد طلبك.

دنت المرأة من الطّاولة بعد ذلك، ونفخت على الشّمعة وأطفأتها ثمّ قالت :

— لن تستطيع أخذ زوجي، فلن أشعل هذه الشّمعة بعد اليوم.

ثارت ثائرة الشّيطان، فانسحب دون أن يهمس ببنت شفة، وفي اللّيل، هبّت ريحٌ عاتية فهوى الجسر وكان ذلك انتقام الشيطان.

رجا أهل القرية الحطّاب ليقيم الجسر من جديد لكن دون جدوى، فقد كان يخشى أن يكون ذلك سببا لعودة الشّيطان إلى القرية مرّة أخرى.

فهرس

أنجز طبعه في أفريل 2019
على مطابع ع. ڤرفي - بـاتنــة - الجزائر